

آليات القطيعة الإبستمولوجية وإشكالية قراءة التراث عند محمد عابد الجابري
Mechanisms of 'Epistemological Break' and the Problematic of Rereading Heritage according to Mohammed Abed al-Jabri

م.م. لينة مثنى عدنان، الجامعة التكنولوجية

تاريخ الاستلام: 2026/5/29 تاريخ القبول: 2026/6/7 تاريخ النشر: 2026/6/24

ملخص:

يتناول هذا البحث مفهوم 'القطيعة الإبستمولوجية' عند محمد عابد الجابري بوصفها آلية إجرائية لإعادة قراءة التراث العربي الإسلامي، ويهدف إلى بيان كيفية توظيف الجابري لهذا المفهوم، المستمد من فلسفة غاستون باشلار، في 'نقد العقل العربي'. والكشف عن البنى المعرفية التي أسهمت في حالة الجمود الفكري.

كما يناقش البحث تقسيم الجابري للنظم المعرفية إلى البيان والعرفان والبرهان، مع تأكيده على أهمية العقل البرهاني في تجديد الفكر العربي المعاصر ويتناول أيضاً نقده للقراءات السلفية والاستشراقية والماركسية للتراث، لكونها قراءات تفتقر إلى البعد النقدي والتاريخي.

ويعرض البحث التمييز الذي أقامه الجابري بين الفلسفة المشرقية ذات النزعة العرفانية، والفلسفة المغربية الأندلسية ذات الطابع البرهاني العقلاني. كما ويسلط الضوء على أبرز الانتقادات التي طالت المشروع، ولا سيما من جورج طرابيشي و طه عبد الرحمن.

وفي الختام، يخلص البحث إلى أن النهضة الفكرية المنشودة ترهن بتبني قراءة نقدية تاريخية للتراث، قادرة على استيعابه وتجاوزه في آنٍ واحد، بما يكفل صياغة عقل عربي معاصر يمتلك القدرة على التفاعل مع تحولات العصر.

كلمات مفتاحية: التراث، العقل العربي، القطيعة الإبستمولوجية، النظم المعرفية

Abstract:

This research addresses the concept of '**epistemological break**' (rupture) according to Mohammed Abed al-Jabri as a procedural mechanism for rereading the Arab-Islamic heritage. It aims to demonstrate how al-Jabri employed this concept—derived from the philosophy of Gaston Bachelard—in his "*Critique of the Arab Reason*," and to uncover the cognitive structures that contributed to the state of intellectual stagnation.

Furthermore, the research discusses al-Jabri's tripartite division of cognitive systems into **Bayān** (exegesis/rhetoric), '**Irfān** (gnosis), and **Burhān** (demonstration/rational proof), while emphasizing the importance of the demonstrative reason (*al-Aql al-Burhānī*) in renewing contemporary Arab thought. It also addresses his critique of Salafi, Orientalist, and Marxist readings of heritage, arguing that these approaches lack both critical and historical dimensions.

Additionally, the study presents the distinction al-Jabri established between Mashriqi (Eastern) philosophy, with its gnostic tendency, and Maghribi-Andalusi (Western) philosophy, characterized by its rational, demonstrative nature. It also highlights the most prominent critiques leveled against his project, particularly by Georges Tarabichi and Taha Abderrahmane.

In conclusion, the research finds that the desired intellectual renaissance is contingent upon adopting a critical, historical reading of heritage—one capable of both assimilating and transcending it simultaneously. This, in turn, ensures the formulation of a contemporary Arab mind capable of interacting with the transformations of the modern era.

Keywords: Heritage, Arab Reason, Epistemological Break, Cognitive Systems

المقدمة:

يُعدُّ الفكر العربي المعاصر أمام تحدٍّ كبير يتمثل في كيفية التعامل مع التراث، بين الانغلاق عليه باعتباره نموذجًا مقدسًا لا يقبل النقد، أو القطيعة التامة معه باعتباره عبئًا يعيق التقدم، وفي خضم هذا الجدل يبرز مشروع المفكر المغربي محمد عابد الجابري كمحاولة جادة لتجاوز هذه الثنائية، عبر طرح مفهوم "القطيعة الإبستمولوجية" التي لا تعني رفض التراث ذاته، بل نقده وتجاوز المناهج التقليدية التي حكمت فهمه لقرون.

يرى الجابري أن أزمة التراث أو العقل العربي بصورة عامة تكمن في استمراره في استخدام أدوات معرفية قديمة، مثل المنهج العرفاني وقياس الغائب على الشاهد، مما أدى إلى جمود فكري حال دون تحقيق نهضة مماثلة لتلك التي عرفها الغرب، كما ينتقد القراءات السلفية للتراث، سواء كانت دينية أو استشراقية أو ماركسية، لكونها تتعامل مع الماضي بمعايير جاهزة، فتفقد سياقه التاريخي وتعيد إنتاجه بشكل غير نقدي.

من ناحية أخرى، يميز الجابري بين الفلسفة المشرقية، التي يراها غنوصيةً تصوفيةً، والفلسفة المغربية-الأندلسية، التي تمثلت العقلانية البرهانية على يد فلاسفة مثل ابن باجة وابن رشد. وهذا التمايز ليس جغرافيًا فحسب، بل منهجيًا وإبستمولوجيًا، مما يفتح آفاقًا جديدة لفهم التراث وتوظيفه في مشروع نهضوي معاصر.

وتتمثل إشكالية البحث في بيان كيفية توظيف محمد عابد الجابري لمفهوم القطيعة الإبستمولوجية في نقد العقل العربي وإعادة قراءة التراث. وتكمن أهمية هذا البحث في تسليط الضوء على أحد أبرز مشاريع تجديد الفكر العربي المعاصر. وأما من حيث المنهج فتم الاعتماد على المنهج التحليلي النقدي مع المقارنة بين الاتجاهات الفكرية المختلفة للوصول إلى رؤية متكاملة نقدية.

ومن خلال هذه الدراسة، سنتناول رؤية الجابري للقطيعة المعرفية بوصفها مشروعًا نقديًا يهدف إلى تحرير التراث من سطوة المناهج التقليدية، وفتح الباب أمام قراءة عقلانية للتراث تواكب تحديات العصر دون انقطاع عن الجذور، وذلك من خلال محورين أساسيين في المحور الأول سيكون الحديث عن مفهوم القطيعة المعرفية (الإبستمولوجية) أما في المحور الثاني سيكون الحديث عن مفهوم القطيعة الإبستمولوجية عند الجابري وكيف وظفها في قراءته للتراث الإسلامي أو الفكر العربي الإسلامي بصورة عامة.

المحور الأول:

ترتبط القطيعة الإبستمولوجية بفكرة تحول المعرفة وتجاوز أنماط التفكير التقليدية، وسوف نتطرق في هذا المحور مفهوم الإبستمولوجيا، ثم توضيح مفهوم القطيعة الإبستمولوجية وأصولها الفلسفية عند غاستون باشلار.

مفهوم القطيعة الإبستمولوجية

قبل الخوض في معنى القطيعة الإبستمولوجية، لابد من توضيح مصطلح الإبستمولوجيا لما ينطوي عليه من غموض واختلاف في دلالاته ومجاله، فهو لفظ مركب من لفظين: أحدهما إبستما وهو العلم، والآخر: لوغوس وهو النظرية. وبذلك يكون المعنى الحرفي لها هو نظرية العلوم أو فلسفة العلوم، والتي بدورها تُعنى بدراسة العلوم وفرضياتها ونتائجها دراسةً انتقادية توصل إلى إبراز أصلها المنطقي، وقيمتها الموضوعية¹.

ويُعرفها أندري لالاند في معجمه على أنها الدراسة النقدية للمبادئ، والنتائج الخاصة بالعلوم، تهدف لمعرفة أصولها المنطقية، قيمها وثقلها الموضوعي².

فهي أذن "عبارة عن المبحث الذي يعالج معالجة نقدية لمبادئ العلوم المختلفة وفروعها ونتائجها، بهدف إرساء أساسها المنطقي، كما أنه يشهد تجديد قيمة العلوم، ودرجة موضوعيتها"³.

أما فيما يخص مفهوم القطيعة الإبستمولوجية نجد أنها تُشكل مفهومًا أساسيًا في فلسفة العلم، ويقصد بها الانفصال أو الانقطاع المعرفي. ويرى أنصار هذا المفهوم أن المعرفة العلمية لا تتطور بشكل تراكمي، بل تشهد تحولات نوعية تعيد تشكيل المفاهيم وتكوين مضمون ومفهوم جديد عبر مراحل تاريخية مختلف⁴.

وقد ظهر هذا المصطلح على يد فيلسوف العلم الفرنسي غاستون باشلار، ليدل على مفهومين:

"الإول: هو تخلي العالم في المختبر عن المعرفة التقليدية الشائعة، الاخذ بالمعرفة العلمية الموضوعية القائمة على التجربة والبرهان. والثاني: القطيعة بين الانظمة المعرفية في تاريخ العلم، والنظام المعرفي هو مجموعة من المفاهيم والمقولات وطرائق التفكير التي تمكننا من حل المشكلات أو التوصل إلى معرفة جديدة ترقى حياتنا، فعندما يصل النظام المعرفي الذي نستخدمه إلى طريق مسدود، ولا يستطيع معالجة الاشكاليات التي تواجهنا، لا بد لنا من إعادة النظر في الطريقة التي ننظر بها الاشياء، أي التخلي بوعي تام عن ذلك النظام المعرفي القديم وتبني نظام معرفي جديد يستطيع التعامل مع الاشكاليات التي عجز النظام المعرفي القديم من التعامل معها، فالتطور العلمي لا يتوقف على التراكم الكمي فحسب بل على آليات التفكير الجديدة أيضاً"⁵.

إذ يرى باشلار أن مبدأ القطيعة الإستمولوجية يجمع بين احتواء النظرية الجديدة للنظرية القديمة وإحداث قطيعة معها في الوقت ذاته، ويتجلى المظهر الأول لهذه القطيعة في كون النظريات العلمية الحديثة أكثر شمولاً من سابقتها، إذ تستوعبها ضمن إطار جديد رغم انطلاقها من مبادئ مغايرة، أما المظهر الثاني، فيتمثل في مراجعة الفكر العلمي المعاصر لمفاهيم العلم الكلاسيكي، مما يجعل القطيعة عند باشلار عملية نقدية تشمل إعادة النظر في المفاهيم السابقة. وتؤدي هذه المراجعة إلى تحول جذلي، حيث يتم تجاوز النظريات القديمة من خلال تحديد مدى صدقها واحتوائها ضمن نسق أكثر شمولاً⁶.

وانطلاقاً لما سبق نجد أن هذا المفهوم في جوهره يدل على أن تطور المفاهيم والنظريات العلمية لا يتم وفق مسار خطي تتكامل فيه المعارف اللاحقة مع سابقتها، بل يتحقق ذلك عبر التحولات النوعية والطفرات المعرفية ويُعاد من خلالها طرح الاسئلة، ومراجعة المعطيات، وتجديد الأدوات والمناهج.

المحور الثاني:

يمثل مفهوم القطيعة الإستمولوجية عند محمد عابد الجابري أداة نقدية لإعادة قراءة التراث الإسلامي وتحليل بنية العقل العربي، لذلك سنتناول في هذا المحور أبرز تطبيقات هذا المفهوم في مشروعه النقدي.

القطيعة المعرفية عند محمد عابد الجابري:

1. القطيعة الإستمولوجية في النظم المعرفية:

يرى محمد عابد الجابري أن أزمة الفكر العربي المعاصر تكمن في استمراره باستخدام نفس القواعد الإستمولوجية القديمة دون تطوير أدواته المعرفية، ويعود ذلك إلى هيمنة المنهج العرفاني على المنهج البرهاني العقلاني منذ عصر التدوين، مما أدى إلى عجز الفكر العربي عن تحقيق نهضة علمية على غرار

المجتمعات الغربية، لذلك يؤكد على ضرورة إحداث قطيعة إستمولوجية مع طرق التفكير التقليدية، لكن ليس مع التراث نفسه، بل مع المناهج والتصورات غير العقلانية التي حكمت العقل العربي في فترات الانحطاط. كما ويشدد على أن التجديد لا يمكن أن يحدث إلا من داخل التراث، ولكن بطريقة نقدية تستلهم الجوانب العقلانية والواقعية والتاريخية منه، كما فعل فلاسفة المغرب والأندلس، دون استنساخ حلولهم بل من خلال توظيف مناهجهم النقدية ومن خلال القراءة العلمية والتاريخية للتراث، يمكن تحقيق تجاوز علمي وجدلي له، بحيث يستمر في معاصرتة لنفسه ولنا في الوقت ذاته.⁷

فأزمة الفكر العربي هي أزمة الفكر كأداة بالدرجة الأولى أي الآلية المنتجة له فهو "بنية من المبادئ والمفاهيم وآليات الذهنية".⁸

فالفكر كمحتوى هو: "جملة الآراء أو الأفكار التي يعبر بواسطتها هذا الشعب أو ذاك عن مشاكله واهتماماته، عن مثله الأخلاقية ومعتقداته المذهبية وطموحاته السياسية والاجتماعية وايضاً عن رؤيته للإنسان والعالم. إن الفكر بهذا المعنى هو الايديولوجيا بمعناها الواسع العام".⁹

كما نجد أن الجابري قد استعان بالتمييز الذي قدمه لالاند بين العقل المكوّن أو الفاعل والذي يقصد به النشاط الذهني الذي يقوم به الفكر حيث البحث والدراسة والذي يصوغ المفاهيم ويقرر المبادئ والعقل المكوّن السائد والذي يقصد به مجموع المبادئ والقواعد التي نعتمدها في استدلالنا، وبالرغم انها تميل إلى الوحدة لكنها تختلف من عصر إلى آخر، فأعتبر الجابري أن العقل العربي يتمثل بالعقل المكوّن، أي جملة المبادئ التي تقدمها الثقافة العربية للمنتميين إليها كأساس لأكتساب المعرفة أو لتفرضها عليهم كنظام معرفي.¹⁰

وفي إطار تحليليه لبنية العقل العربي، نجد أن الجابري قسم النظم المعرفية التي شكلت الثقافة العربية الإسلامية إلى ثلاثة نظم أساسية: البيان والعرفان والبرهان. ويقوم النظام البياني على اللغة والنص والقياس كما في علوم الفقه والكلام، بينما يعتمد النظام العرفاني على الكشف والتصوف والمعرفة الباطنية، في حين يمثل النظام البرهاني التفكير العقلي القائم على المنطق والاستدلال، كما تجلى عند ابن رشد وفلاسفة المغرب والأندلس. ويرى الجابري أن العقل العربي قد هيمن عليه البيان والعرفان وهذا أدى إلى تعطيل الفعالية النقدية، لذلك دعى إلى أحياء العقل البرهاني بوصفه مدخلاً لتجديد الفكر العربي المعاصر.¹¹

ومن خلال هذا التقسيم، نجد أن الجابري حاول بيان أن أزمة العقل العربي لا ترتبط بالتراث نفسه، بقدر ما ترتبط بطريقة فهمه، إذ أن هيمنة البيان والعرفان أدى إلى تراجع التفكير البرهاني القائم على العقل والنقد.

ويرى الجابري ضرورة إحداث قطيعة مع الفهم التقليدي للتراث، لكنه يوضح أن هذه القطيعة لا تعني القطيعة المطلقة بالمعنى اللغوي الشائع، بل يقصد بها التحرر من الطريقة التراثية في فهم التراث نفسه، ويؤكد أن هذا التحرر يتطلب تجاوز بعض الموروثات الفكرية، وعلى رأسها منهج "القياس" في صيغته النحوية، الفقهية، والكلامية، التي تعتمد على ربط الأجزاء بشكل ميكانيكي دون مراعاة السياق الزمني، المعرفي، أو الأيديولوجي. فمثل هذا القياس يؤدي إلى تفكيك الكل وعزل الأجزاء عن سياقها الأصلي، مما قد يتسبب في خلط بين الذات والموضوع، أو في انخراط غير واعٍ للذات في التراث، بل وربما يحدث الأمران معاً. وعندما يكون موضوع البحث هو التراث نفسه، فإن النتيجة تكون اندماج الذات فيه بشكل غير نقدي¹².

2. القطيعة الإبستمولوجية مع القراءة السلفية:

ينتقد الجابري التيار السلفي الذي يطرح أسئلة مثل: "كيف نستعيد مجد حضارتنا؟ كيف نحيا تراثنا؟"، ويرى أن هذا التيار يركز على الماضي والمستقبل بينما يغيب الحاضر، هذا الغياب يعود إلى التأثير القوي للماضي، الذي امتد ليشمل المستقبل، مما جعل الفكر العربي يعيش في حالة تكوص بدلاً من مواجهة تحديات الحاضر، ويرجع الجابري هذا التوجه إلى التحدي الحضاري الغربي، الذي دفع الفكر العربي إلى البحث عن هوية عبر استعادة الماضي، ويعتبر أن القراءة السلفية للتراث هي قراءة أيديولوجية تقوم على إسقاط صورة المستقبل المنشود على الماضي، ثم الادعاء بأن تحقيق هذا المستقبل ممكن لأنه تحقق سابقاً. في بداياته، تبنى هذا التيار خطاباً إصلاحياً مع الأفغان وبعده، داعياً إلى ترك التقليد، لكنه بقي في إطار إعادة إنتاج الماضي بدلاً من تقديم قراءة نقدية عقلانية¹³.

فالقراءة السلفية للتراث كما يرى الجابري تدعو إلى إلغاء التراث المرتبط بعصر الانحطاط والعودة المباشرة إلى الأصول الدينية لفهم الدين بطريقة أصيلة، لكنها في الواقع تنظر إلى الماضي من منظور أيديولوجي يجعل منه مشروعاً للنهضة، مما يؤدي إلى إعادة إنتاج الماضي كما "ينبغي أن يكون" وليس كما كان فعلاً. هذا الفهم يؤدي إلى قراءة لا تاريخية للتراث، حيث يصبح الماضي هو المرجعية الوحيدة، مما يعيق التعامل النقدي مع التاريخ ويجعل السلفيين يعيشون صراعات الماضي وكأنها ممتدة في الحاضر والمستقبل¹⁴.

ولم يقتصر الجابري على نقد السلفية الدينية فحسب، بل شمل اتجاهات فكرية متعددة تعاملت مع التراث بمنهج غير تاريخي، وتتمثل بقراءته للرؤية الاستشراقية والسلفية الدينية والقراءة الماركسية فيطلق

عليهم بالقراءات السلفية كونهما قراءات ترجع التراث إلى الماضي وتقرأه بمعايير واليات ومنهجيات جاهزة من خلال تصنيفه لهذه القراءات:

1. السلفية الاستشرافية: يرى أنها تعتمد منهجاً غربياً في قراءة التراث العربي الإسلامي، إذ تردده إلى أصول غير عربية (يونانية، فارسية، يهودية، إلخ)، مما يؤدي إلى استلاب فكري يجعل الحداثة العربية مشروطة بالانقياد للنموذج الأوروبي، وفي هذا الصدد، يقول الجابري: " فالصورة العصرية الاستشراقوية الرائجة في الساحة الفكرية العربية الراهنة عن التراث العربي الإسلامي، سواء منها ما كتب بأقلام المستشرقين أو ما صنف بأقلام من سار على نهجهم من الباحثين والكتّاب العرب، صورة تابعة. أنها تعكس مظهرًا من مظاهر التبعية الثقافية، على الأقل على صعيد المنهج والرؤية"¹⁵.

2. السلفية الدينية: يعتبر أنها تقدم قراءة جامدة للتراث، ترفض التجديد وتمسك بالماضي دون فهم متغيرات الحاضر، وأن التعامل مع التراث بهذه الرؤية السلفية، يؤدي إلى غياب الروح النقدية العلمية، وفقدان النظرة التاريخية، إذ أن التراث سوف يكرر نفسه بصورة مجزأة وردئية¹⁶.

3. السلفية الماركسية: يرى أنها تستخدم المنهج الماركسي بشكل قسري، حيث تحاول إخضاع التاريخ العربي الإسلامي لقوالب الصراع الطبقي والمادية الجدلية، حتى لو اضطرها ذلك إلى ليّ الحقائق التاريخية، وهي هذا لا تختلف بتاتاً عن سابقها القراءة الاستشراقية¹⁷

يرى الجابري أن هذه الاتجاهات الثلاثة تفقد قدرتها على التجديد لأنها تتعامل مع الماضي بمعايير جاهزة، بدلاً من تحليل التراث وفق سياقاته الحقيقية¹⁸. كما يرى أن المشكلة ليست في الأطروحات التي تقدمها هذه القراءات، بل في طريقة التفكير التي تنتجها، وبشير إلى أن هذه القراءات تعاني من مشكلتين أساسيتين:

أ. غياب الموضوعية.

ب. وغياب الرؤية التاريخية: مما يؤدي إلى تكرار أنماط التفكير السلفية، حيث تستند كل تيارات الفكر العربي الحديث إلى "سلف" معين تستمد منه شرعيتها¹⁹.

كما يحلل الجابري النزعة السلفية في الفكر العربي المعاصر موضحاً أنها تعتمد على منهج "قياس الغائب على الشاهد"، وهو أسلوب تفكير يقيس المستقبل (الغائب) على نماذج من الماضي (الشاهد). ثم يبين أن هذا المنهج كان أداة علمية فعالة عندما استخدم وفق شروطه الصحيحة في الفقه، النحو، وعلم

الكلام، لكنه مع مرور الوقت فقد دقته بسبب التساهل في تطبيقه، مما أدى إلى تكراره ألياً دون مراجعة نقدية.

ثم يؤكد أن هذه الآلية الفكرية أصبحت جزءاً لا شعورياً من العقل العربي، مما أدى إلى اجترار الماضي لحل مشكلات الحاضر والمستقبل دون تطوير مناهج جديدة، ويبرز أن التعليم التقليدي في عصر الانحطاط عزز هذا النمط، إذ انحصرت الدراسات في مجالات النحو والفقه والكلام، مما جعل "قياس الغائب على الشاهد" الأداة الأساسية في التفكير العربي، حتى عندما لم يكن مناسباً أو دقيقاً، باختصار ينتقد الجابري اعتماد الفكر العربي على منهج قياسي غير نقدي، مما يكرس الجمود الفكري ويمنع تطور مناهج جديدة لمواجهة التحديات المعاصرة²⁰.

كما انتقد آلية التفكير في العقل العربي التي تعتمد على القياس بين القديم والجديد، مما يؤدي إلى إلغاء الزمن والتطور، ويجعل الفكر العربي غير تاريخي ويفتقر إلى الموضوعية، هذه الآلية تحوّل التراث إلى مصدر للحلول الجاهزة دون تحليل أو نقد، مما ينعكس حتى على التيارات الفكرية الحديثة التي تستمد أفكارها من الماضي، سواء العربي الإسلامي أو الأوروبي أو غيرهما، كما يرى أن تجديد الفكر العربي يتطلب قطيعة إبستمولوجية مع طريقة التفكير السائدة منذ عصر الانحطاط، والتي تعتمد على القياس الميكانيكي غير النقدي، لكنه يوضح أن القطيعة المطلوبة ليست مع التراث ذاته، بل مع طريقة الفعل العقلي التي تحكمت في فهمه وتوظيفه، داعياً إلى نقد شامل لهذه البنية الذهنية بهدف تحديث العقل العربي²¹.

لذلك دعى الجابري إلى القطيعة مع أي قراءة سلفية للتراث، لأنها تتسم بعدم التاريخية، مما يؤدي إلى إنتاج فهم واحد فقط للتراث، وهو الفهم التراثي له وفي هذه الحالة، يبقى التراث محيطاً بهذه القراءة، بينما تعجز هي عن استيعابه، إذ إنها مجرد تكرار له²².

ومن خلال ما تقدم، نجد أن الجابري حاول تجاوز القراءات السلفية للتراث عبر دعوته على قراءة نقدية تاريخية تقوم على فهم التراث ضمن سياقه المعرفي والتاريخي بعيداً عن إسقاط التصورات الجاهزة عليه.

3. القطيعة الإبستمولوجية بين الفلسفة المشرقية والمغربية:

يطرح الجابري إشكالية مركزية في كتابه تتعلق بموقع الفلسفة في المغرب والأندلس ضمن السياق الفلسفي العام في العالم الإسلامي، فهل كانت الفلسفة المغربية والأندلسية مجرد امتداد للفلسفة المشرقية، أم أنها كانت ظاهرة مستقلة بذاتها؟ يرى الجابري أن الفهم التقليدي للفلسفة الأندلسية باعتبارها امتداداً للفلسفة الإسلامية المشرقية (الكندي، الفارابي، ابن سينا) يحتاج إلى إعادة نظر جذرية،

مدافعاً عن أطروحاته التي ترى أن الفلسفة في المغرب والأندلس لم تكن مجرد امتداد لفلسفة المشرق، بل شهدت تطوراً خاصاً بها، وهذا ما سعى إلى إثباته عبر تحليل تجربة ابن باجة، الذي يُعد مؤسس المدرسة الفلسفية البرهانية في الأندلس، فالجابري يوضح الفرق بين مرحلتين فلسفتين في الأندلس:

- مرحلة أولى ذات طابع مشائي-إشراقي، كانت موجودة قبل ابن باجة.
- مرحلة ثانية برهانية، يمثلها ابن باجة ومن جاء بعده²³.

يرى الجابري أن الفلسفة العربية التراثية تتكون من وجهين: محتوى معرفي ومضمون إيديولوجي، فالمحتوى المعرفي يتمثل في مادة علمية متينة لكنها تفتقر إلى الحيوية، في حين أن المضمون الإيديولوجي يستمر في التفاعل والتجدد عبر الزمن بصور مختلفة²⁴.

إذ "يرى الجابري في الفلسفة، كما ظهرت على يد الكندي ثم تطورت على يد الفارابي، فلسفة مناضلة من أجل العلم والتقدم، لكن ابن سينا ارتد بها من عقلانية الكندي والفارابي المنفتحة، وحولها إلى فلسفة روحانية غنوصية لا عقلانية ظلامية، عمل الغزالي والسهروودي الحلبي على نشرها ويقول الجابري إنه عندما انتقلت الفلسفة العربية إلى المغرب الإسلامي رفض ابن باجة مشاهدات الغزالي المزعومة التي جلبت له "اللذة"، وأكد ابن باجة أن السعادة الحقيقية هي بلوغ أقصى درجات العقل النظري. وقد ساعد هذا ابن رشد على تأسيس منهجه الفلسفي الأصيل وعقلانيته النقدية الواقعية. وهكذا اعتبر الجابري أن ابن رشد قام بقطيعة مع غنوصية ابن سينا وفلسفته المشرقية، وفند آراءه ورفضها، ورفض كذلك "التصوف السني" الذي نادى به الغزالي، لأن سنة الرسول (ص)، كما يقول الجابري، "لم تعرف التصوف قط... وأن الخطاب القرآني هو خطاب عقل وليس خطاب غنوص أو عرفان أو إشراق"²⁵.

كما يقول الجابري: "أتمنى أن يكتشفوا أن ابن سينا الذي قلت و أعود أن ابن رشد قد أحدث قطيعة مع فلسفته هو ابن سينا من الشرق البعيد من بخارى من بلاد العجم"²⁶. وهنا تظهر الخلفية الأيديولوجية للجابري التي جعلت نقاده يعيبون عليه إقحام البُعد القومي أو الجغرافي في محاكمة المفاهيم المعرفية.

ينتقد الجابري ابن سينا، وأبو حامد الغزالي، وأبو الفتح محمد عبد الكريم الشهرستاني، وفخر الدين الرازي، وحتى نصير الدين الطوسي من القرن السابع الهجري، يُوصفون جميعاً بأنهم "مشاركة"، أي أنهم ينتمون إلى خراسان وما حولها، وأنهم من مثقفي البلاط الذين يعكسون الأيديولوجيا السائدة، كونها القوة الحاكمة والمشكلة للوعي.

ويرى الجابري أن ابن سينا كان يملك طموحاً سياسياً انعكس في تعامله الواعي مع السياسة داخل العلم، مما جعله، وفقاً للجابري، انتهازياً إلى أقصى الحدود، بناءً على ذلك، يقرأ الجابري فلسفة ابن رشد

من خلال إشكالية الفكر المغربي، التي تتعارض مع الإشكالية المشرقية، ويؤكد أن التمييز بين المشرق والمغرب في الفكر الإسلامي ليس مجرد تقسيم جغرافي، بل هو انعكاس لواقع تاريخي، سياسي، وثقافي نشأ منذ الفتوحات الإسلامية الأولى. وبهذا، تتجسد المدرستان المغربية والمشرقية كمظهرين متناقضين: فالعقلانية الرشدية تتسم بالواقعية، في حين أن العقلانية السينوية تتجه نحو التصوف، ومن خلال تحليله لنصوص ابن سينا، يكشف الجابري عن أسسها الإبستمولوجية ومضامينها الأيديولوجية²⁷.

فمن خلال ما يمكن التوصل إليه بأن القطيعة حصلت بين الثقافتين أو الفلسفتين كما يرى الجابري من خلال التباين الجذري بين المشرق والمغرب، إذ اتخذت الفلاسفة في المشرق نهجاً قائماً على الدمج بين الخطاب الديني والفلسفي، مستندين إلى رؤية عرفانية صوفية للحقيقة، بينما تبنت فلاسفة المغرب، وعلى رأسهم ابن رشد، منهجاً يقوم على التمييز بين الدين والفلسفة، مع الفصل بين الخطابين على مستوى الأسس والمقدمات، معتمدين رؤية برهانية عقلية في مقارنة الحقيقة الدينية والفلسفية. ويظهر من هذا التمايز أن الجابري قد نظر إلى الفلسفة المغربية بوصفها أكثر ارتباطاً بالعقل والبرهان، لذلك عدّها أقرب إلى تحقيق التجديد الفكري الي دعى إليه.

4. ملاحظات نقدية على مفهوم القطيعة المعرفية عند الجابري:

بالرغم من الأهمية الفكرية التي مثلها مشروع الجابري في نقد العقل العربي وإعادة قراءة التراث، إلا أنه لم يسلم من مجموعة من الملاحظات النقدية التي طالت أسسه المنهجية والمعرفية. ويمكن تصنيف هذه الملاحظات إلى:

أ. النقد المنهجي: يرى عدد من النقاد ومنهم جورج طرابيشي، أن الجابري اعتمد بصورة رئيسية على مناهج ومفاهيم مستمدة من الفكر الغربي الحديث، وبالخصوص مفهوم القطيعة الإبستمولوجية عند باشلار، محاولاً إسقاطها على التراث العربي الإسلامي من أجل إعادة بناء العقل العربي وفق رؤية عقلانية حديثة²⁸.

وتمحور أيضاً نقد طرابيشي تجاه موقف الجابري تجاه التراث، حيث دعى إلى أحداث قطعية معرفية مع بعض أنماط التفكير والتي رأى أنها أسهمت في تعطيل العقل العربي، وبالأخص الفكر العرفاني والبياني، مقابل تركيزه على العقل البرهاني الذي مثله الفكر الرشدي، وقد اعتبر بعض الباحثين أن هذا الطرح قد اتسم بنوع من الانتقائية في التعامل مع التراث، لأنه فضل جانباً معيناً من الموروث الفكري على حساب جوانب أخرى، الأمر الذي أدى إلى تقديم قراءة غير متوازنة للتراث العربي الإسلامي²⁹.

أن الجابري تعامل مع التراث بوصفه بنية معرفية قابلة للتفكيك والتحليل وفق أدوات حديثة، دون مراعاة الخصوصية التاريخية والدينية للنصوص التراثية. لذلك وجدوا أن تطبيق المناهج البنيوية والإبستمولوجية الغربية على التراث العربي الإسلامي قد أدى إلى ابعاده عن سياقه الحضاري والفكري الاصيل³⁰.

ب. النقد المفاهيمي: يبين طرايشي أن الجابري قد وقع في خطأ ترجمي ومعرفي عند نقله لمصطلح العقل المكوّن والمكوّن عن الفيلسوف اندريه لالاند؛ حيث اساء فهم المصطلح وفصل بينهما وتجاهل وحدة العقل البشري لديه. هذا الخلل وبحسب ما يصرح طرايشي أدى إلى تقطيع العقل العربي وتقسيمه إلى ثلاث عقول مستقلة وهي البيان والبرهان والعرفان³¹.

ويبين طرايشي أن دوائر العقل العربي الإسلامي متحدة المركز، سواء أكانت بيانية أم برهانية أم عرفانية، وهذا أن دلّ فيدل على أن النظام الإبستمولوجي لها العقل واحد³².

ت. نقد الانتقائية في قراءة التراث: نجد طه عبد الرحمن يوجه عدة انتقادات لمشروع الجابري بقوله أن الأخير قد ناقض دعوته لشمولية التراث عند التطبيق، إذ جزأه إلى ثلاثة أنظمة منفصلة ومتفاضلة (البيان، العرفان، البرهان)، مما فكك وحدته وحوله إلى أجزاء متعارضة³³.

ث. نقد توظيف المفاهيم الغربية: ومن الانتقادات الأخرى التي وجهها طه عبد الرحمن للمشروع وهو استمداد الجابري لمفاهيم منقولة من مجال تداولي غربي، ونقلها إلى التراث، من قبيل "العائق الإبستمولوجي"، ومفهوم القطيعة المعرفية" وغيرها من المفاهيم، وبناءً على ذلك، لم تأت قراءة الجابري كحفر معرفي خالص ينبع من داخل الفكر الإسلامي وبنيته الذاتية، بل تحولت إلى محاولة لربط الحاضر بالماض بطريقة اسقاطية، ثم أخذ يبحث له عن جذور داخل التراث ليتشبث بها، مما جعل قراءته محكومة بآليات غربية عن البيئة التداولية للتراث الإسلامي³⁴.

وقد ابطال طه عبد الرحمن التقييم التفاضلي للتراث الذي دعى إليه الجابري "وكشف تقويمه التجزيئي، وقصوره الآلي، واشتغاله بالمضامين وتوسله بآليات منقولة، مع نزوحه نحو العقلانية المجردة والفكرانية المسيسة"³⁵.

وبالرغم من الانتقادات التي طالت مشروع الجابري، فإنه يبقى من المشاريع المهمة في الفكر العربي المعاصر؛ وذلك لما قدمه من محاولة جادة لإعادة التفكير في إشكالية التراث والعقل العربي، وفتح باب النقاش حول آليات تجديد الفكر العربي وإعادة قراءة الموروث الثقافي قراءة نقدية معاصرة³⁶.

ومن خلال ما تقدم، نجد أن مشروع الجابري قد نجح في إثارة إشكالية التراث وإعادة طرحها وفق اطار نقدي معاصر، إلا أن اعتماده على التمييز الحاد بين البيان والعرفان والبرهان قد أثار تساؤلات عدة حول

مدى إمكان الفصل الفعلي بين هذه النظم داخل الثقافة العربية الإسلامية. لا سيما أن التداخل بينهما كان سمة بارزة في كثير من مراحل تطور الفكر الإسلامي.

الخاتمة:

تناول البحث مفهوم القطيعة الإبستمولوجية عند محمد عابد الجابري بوصفه مدخلاً نقدياً لإعادة قراءة التراث العربي الإسلامي وتحليل بنية العقل العربي. وقد تبين أن الجابري لم يدعوا إلى رفض التراث أو القطيعة معه بل سعى إلى تجاوز أنماط التفكير التقليدية التي أسهمت في حالة الجمود الفكري، من خلال تبني قراءة عقلانية تستوعب التراث ضمن سياق التاريخي والمعرفي.

كما وضح البحث تأثر الجابري بمفهوم القطيعة الإبستمولوجية عند غاستون باشلار، مع إعادة توظيفه بما ينسجم مع خصوصية الفكر العربي الإسلامي، فضلاً عن تركيزه على العقل البرهاني ونقده لهيمنة البيان والعرفان على الثقافة العربية الإسلامية. كذلك ناقش البحث موقف الجابري من بعض القراءات التراثية، لاسيما السلفية و الاستشراقية والماركسية، مبيئاً أنها قراءات تفتقر إلى الموضوعية والبعد التاريخي.

وتوصلنا في نهاية البحث إلى أن مشروع الجابري، وبالرغم من الانتقادات التي وجهت إليه، قد أسهم في إعادة فتح باب النقاش حول التراث وآليات تجديد الفكر العربي المعاصر، مما جعله من أبرز المشاريع الفكرية النقدية في الفكر العربي الحديث.

¹ ينظر: جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج1، دار الكتاب اللبناني، لبنان، ب ط، 1982، ص33.

² محمد وقيدى، ماهي الإبستمولوجيا، مكتبة المعارف، الرياض، ب ط، 1987، ص23.

³ حسن عبد الحميد، مقدمة كتاب روبر بلانشيه، نظرية المعرفة العلمية (الإبستمولوجيا)، ترجمة: حسين عبد الحميد، مطبوعات جامعة الكويت، 1987، ص 7.

⁴ ينظر: جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج2، دار الكتاب اللبناني، لبنان، ب ط، 1972، ص 391.

⁵ علي القاسمي، مفهوم القطيعة مع التراث في فكر الجابري، ضمن كتاب مجموعة مؤلفين التراث والجدانة في المشروع الفكري لمحمد عابد الجابري، إشراف وتقديم: محمد الداوي، منشورات دار التوحيد، المغرب، ب ط، 2011، ص 119-120.

⁶ ينظر: معاذ قنبر، القطيعة الإبستمولوجية عند غاستون باشلار التحليل النفسي للعلم، ديسمبر 2019، مقال متاح على الرابط التالي: <https://alawan.bnt.nat.tn/2019/12/26>، تاريخ الزيارة 2026/3/10.

- ⁷ ينظر: رشيد عبة وآخرون، إبستمولوجيا العلوم الإنسانية، إشراف وتقديم: الشريف زيتوني، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2017، ص66-67.
- ⁸ محمد عابد الجابري، إشكاليات الفكر العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط2، 1983، ص 52.
- ⁹ المصدر نفسه، ص 52.
- ¹⁰ ينظر: محمد عابد الجابري، تكوين العقل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1984، ص15.
- ¹¹ ينظر: عبدالله الغزالي، نقد العقل العربي عند محمد عابد الجابري-قراءة تحليلية فكرية-، مجلة الشرق الاوسط للعلوم الإنسانية، المجلد:5، العدد: 3، 2025، ص623-624.
- ¹² ينظر: محمد عابد الجابري، التراث والحداثة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 1999، ص35، "نقلًا عن فاطمة قبيوب، القطيعة الابستمولوجية عن محمد عابد الجابري، ص36.
- ¹³ ينظر: محمد عابد الجابري، نحن والتراث: قراءات معاصرة في تراثنا الفلسفي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط4، 1985، ص11-12.
- ¹⁴ ينظر: المصدر نفسه، ص 13.
- ¹⁵ جميل حمداوي، مواقف من التراث العربي الإسلامي -محمد عابد الجابري وطه عبد الرحمن أنموذجان- كتاب مجلة الإصلاح، العدد الرابع، جويليه، 2015، ص21.
- ¹⁶ المصدر نفسه، ص 19.
- ¹⁷ المصدر نفسه، ص 22.
- ¹⁸ ينظر: محمد ايت حمو، الرؤية المنهجية بين مدرستي الجابري واركون، مجلة مؤمنون بلا حدود، 25سنتمبر، 2018، ص4.
- ¹⁹ ينظر: محمد عابد الجابري، نحن والتراث: قراءات معاصرة في تراثنا الفلسفي، ص16.
- ²⁰ ينظر: المصدر نفسه، ص17-18.
- ²¹ ينظر: محمد عابد الجابري، نحن والتراث: قراءات معاصرة في تراثنا الفلسفي، ص19-20.
- ²² ينظر: علي القاسمي، مفهوم القطيعة مع التراث في فكر الجابري، ضمن كتاب مجموعة مؤلفين التراث والحداثة في المشروع الفكري لمحمد عابد الجابري، ص122.
- ²³ ينظر: محمد عابد الجابري، نحن والتراث: قراءات معاصرة في تراثنا الفلسفي، ص167.
- ²⁴ ينظر: علي القاسمي، مفهوم القطيعة مع التراث في فكر الجابري، ضمن كتاب مجموعة مؤلفين التراث والحداثة في المشروع الفكري لمحمد عابد الجابري، ص123.
- ²⁵ علي القاسمي، مفهوم القطيعة مع التراث في فكر الجابري، ضمن كتاب مجموعة مؤلفين التراث والحداثة في المشروع الفكري لمحمد عابد الجابري، ص124.
- ²⁶ حسن حنفي، محمد عابد الجابري، حوار المشرق والمغرب: نحو اعادة بناء الفكر القومي العربي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1990، ص144.
- ²⁷ ينظر: محمد خالد الشباب، القراءات الإبستمولوجية للتراث عند محمد عابد الجابري، مجلة جامعة دمشق، المجلد 28، العدد 34، 2012، ص 414-415.
- ²⁸ ينظر: طراد حمادة، نقد الجابري ل"العقل العربي" وسمعة الإبستمولوجيا، مجلة المهاج، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، ص112-113.
- ²⁹ المصدر نفسه، ص114-116.

- ³⁰ المصدر نفسه، ص 119-124.
- ³¹ ينظر: جورج طرابيشي، نظرية العقل، دار الساقى، بيروت، ط1، 1996، ص20.
- ³² ينظر: جورج طرابيشي، وحدة العقل العربي الإسلامي، ط7، دار الساقى، بيروت، 2007، ص405.
- ³³ ينظر: طه عبد الرحمن، تجديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط4، 2012، ص33.
- ³⁴ ينظر: ابراهيم مشروح، طه عبد الرحمن قراءة في مشروعه الفكري، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، ط1، بيروت، 2009، ص157.
- ³⁵ عباس ارحيله، فيلسوف في المواجهة، قراءة في فكر طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، بيروت، ب.ت، ص98.
- ³⁶ ينظر: طراد حمادة، نقد الجابري لـ"العقل العربي" وسمعة الاستمولوجيا، ص 124-125.

أولاً: قائمة المصادر والمراجع العربية:

1. ابراهيم مشروح، طه عبد الرحمن قراءة في مشروعه الفكري، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، ط1، بيروت، 2009.
2. جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج1، دار الكتاب اللبناني، لبنان، ب ط، 1982.
3. جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج2، دار الكتاب اللبناني، لبنان، ب ط، 1972.
4. جورج طرابيشي، وحدة العقل العربي الإسلامي، ط7، دار الساقى، بيروت، 2007.
5. جورج طرابيشي، نظرية العقل، دار الساقى، بيروت، ط1، 1996.
6. حسن حنفي، محمد عابد الجابري، حوار المشرق والمغرب: نحو إعادة بناء الفكر القومي العربي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1990.
7. حسن عبد الحميد، مقدمة كتاب رويبر بلانشيه، نظرية المعرفة العلمية (الإبستمولوجيا)، ترجمة: حسين عبد الحميد، مطبوعات جامعة الكويت، 1987.
8. رشيد عبة وآخرون، إبستمولوجيا العلوم الإنسانية، إشراف وتقديم: الشريف زيتوني، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2017.
9. علي القاسبي، مفهوم القطيعة مع التراث في فكر الجابري، ضمن كتاب مجموعة مؤلفين: التراث والحداثة في المشروع الفكري لمحمد عابد الجابري، إشراف وتقديم: محمد الداوي، منشورات دار التوحيد، المغرب، ب ط.
10. عباس ارحيله، فيلسوف في المواجهة، قراءة في فكر طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، بيروت، ب.ت.
11. طه عبد الرحمن، تجديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط4، 2012.
12. محمد عابد الجابري، تكوين العقل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1984.
13. محمد عابد الجابري، إشكاليات الفكر العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط2، 1983.
14. محمد عابد الجابري، التراث والحداثة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1.
15. محمد عابد الجابري، نحن والتراث: قراءات معاصرة في تراثنا الفلسفي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط4، 1985.

16. محمد وقيدي، ما هي الإستمولوجيا، مكتبة المعارف، الرباط، ب ط، 1987.

ثانياً: الصحف والمجلات والمقالات:

1. جميل حمداوي، مواقف من التراث العربي الإسلامي - محمد عابد الجابري وطه عبد الرحمن أنموذجان - كتاب مجلة الإصلاح، العدد الرابع.
2. عبدالله الغزاوي، نقد العقل العربي عند محمد عابد الجابري - قراءة تحليلية فكرية -، مجلة الشرق الاوسط للعلوم الإنسانية، المجلد:5، العدد:3، 2025.
3. طراد حمادة، نقد الجابري لـ "العقل العربي" وسمعة الإستمولوجيا، مجلة المنهاج، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية.
4. معاذ قنبر، القطيعة الإستمولوجية عند غاستون باشلار: التحليل النفسي للعلم، ديسمبر 2019، مقال متاح على الرابط التالي <https://alawan.bnt.nat.tn/2019/12/26>، تاريخ الزيارة 2026/3/10.
5. محمد آيت حمو، الرؤية المنهجية بين مدرستي الجابري وأركون، مجلة مؤمنون بلا حدود، 25 سبتمبر، 2018.
6. محمد خالد الشيباب، القراءات الإستمولوجية للتراث عند محمد عابد الجابري، مجلة جامعة دمشق، المجلد 28، العدد 34، 2012.

كلية التربية للعلوم الإنسانية

2025 - 1446

College of Education for Humanities

مجلة الحمدانية للدراسات الإنسانية